

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح رياض الصالحين

شرح حديث حذيفة: كنا إذا حضرنا مع رسول الله طعاماً.. وحديث أمية بن مخشي: كان رسول الله جالساً..
الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب "التسمية في أول الطعام" أورد المصنف -رحمه الله- حديث حذيفة -رضي الله تعالى عنه- قال: "كنا إذا حضرنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيضع يده، وأنا حضرنا معه مرة طعاماً، فجاءت جارية كأنها تُدْفَع فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يُدْفَع فأخذ بيده، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يُذكر اسم الله تعالى عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديهما))، ثم ذكر اسم الله، وأكل"^(١)، رواه مسلم .

قول حذيفة -رضي الله عنه-: "كنا إذا حضرنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيضع يده"، هذا من أدبهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو داخل في عموم قوله -تبارك وتعالى-: **{لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}** [الحجرات: ١]، فلا يكون التقدم بين يديه -عليه الصلاة والسلام- في شيء من الأشياء لا في رأي واقتراح ونظر، وحكم، أو طعام، أو غير ذلك، وقوله: "كنا إذا حضرنا"، يدل على أن ذلك لأمر يتكرر، فالكون الماضي مع إذا الشرطية يدل على الدوام والتكرر بتكرار شرطه، يعني كلما حضروا حصل ذلك، فعلوا ذلك، وقد يؤخذ من هذا أيضاً -بما أن ذلك من الآداب- أن لا يبدأ الإنسان الطعام قبل أن يبدأ من هو أكبر منه، يعني الأولاد مع أبيهم مثلاً لا يبدعون قبله، وهكذا.

قال: "وإننا حضرنا معه مرة طعاماً فجاءت جارية كأنها تُدْفَع"، يعني من جهة الإسراع، والجارية يحتمل أن يكون المراد بها المملوكة صغيرة كانت أو كبيرة فإنه يقال لها: جارية، ويحتمل أن يراد بها الحرة الصغيرة، بنت صغيرة، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيدها، وفي هذا تأديب وتعليم، وهذا قوله: "فأخذ بيدها" يؤيد ويقوي أنها جارية صغيرة.

"ثم جاء أعرابي كأنما يُدْفَع"، والأعرابي هو من سكن البادية، فأخذ بيده، وفي هذا أيضاً تأديب وتعليم للكبار والصغار على حد سواء، والناس كثيراً ما يجاملون في هذه الأمور، لربما تجلس على الطعام، وترى هذا يشرب بشماله أو يتكئ على يده، أو نحو ذلك، وهو يأكل، وهذا منكر، ويجب الإنسان أحياناً عن النصيحة والتعليم.

يقول: "فأخذ بيده، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله تعالى عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها))"، يعني لا يستطيع الشيطان أن يأكل منه ابتداءً، وإنما يأكل

بواسطة، بواسطة من حضر ولم يسمِّ، ولو أن بعض سمي، ولو سمي الجميع إلا واحداً فهذا الواحد يستحل به الطعام، يقول: ((وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده))، وذلك لم يقع لأحد من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- من أهل العلم والعرفان، وإنما وقع من جارية هي مظنة الجهل، وأعرابي هو أيضاً كذلك.

((والذي نفسي بيده إن يده -يعني الشيطان- في يدي، مع يديهما))، ثم ذكر اسم الله، وأكل -عليه الصلاة والسلام.

ثم ذكر المصنف -رحمه الله- حديث أمية بن مَخْشِيٍّ الصحابي -رضي الله تعالى عنه- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالساً ورجل يأكل، فلم يسمِّ الله حتى لم يبقَ من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فيه -هذه الأخيرة- قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: ((ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه))^(٢).

إذن التسمية تؤثر ولو كانت في آخر لقمة ما لم يفرغ من الطعام، ولو أنه فرغ من الطعام ثم تذكر فماذا يفعل؟ نقول: يسمي، يقول: بسم الله أوله وآخره، ويأكل لقمة بعد ذلك، فيستفرغ الشيطان، وهذا الرجل يحتمل أن يكون سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث عائشة وهو الحديث السابق: ((إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي إن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره))^(٣)، فقله، هذا هو الظن، ويحتمل أنه قال ذلك من عند نفسه، فأقره عليه النبي -صلى الله عليه وسلم-، والأول أقرب -والله تعالى أعلم-، لكن يوجد في بعض الآثار في غير هذا الموضع ما يدل على أن قائل ذلك سواء كان بعد الركوع -أعني ذكراً قاله- أو نحو ذلك، قاله من عند نفسه، فأقره النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكر فضله، فلا يؤخذ من هذا أن الإنسان يجوز له أن يبتكر أشياء من الأوراد والأذكار، ثم يقول ذلك دون أن يرد عن الشارع، لا يجوز، فيدخل في باب البدع، ولكنه في زمن التشريع في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- نقول: هذا الذي أقر عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صار من السنة التقديرية، وبعد ذلك انقطع الوحي، فليس لأحد أن يقول شيئاً غير ما ورد.

وكون النبي -صلى الله عليه وسلم- يخبر عن هذا يد الشيطان في يده، وأن الشيطان استقاء ما في بطنه، استقاء معناه أنه أخرج ذلك عمداً، قصداً، يعني أن الشيطان لم يستسغ ذلك، هذا من أمور الغيب، لا يمكن أن يطلع عليها إلا بإطلاع الله -عز وجل- للعبد، والشيطان لا يستسغ أبداً الشيء الذي ذكر اسم الله عليه، وإذا كان إنسان قد تلبس به شيطان من الشياطين فرقي وصرع مثلاً، أو أفاق، لو جيء له بماء، هو يطلب ماء؛

٢- أخرجه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، برقم (٣٧٦٨)، وأحمد في المسند، برقم (١٨٩٦٣)، وقال محققوه: "إسناده ضعيف لجهالة المثني بن عبد الرحمن الخزاعي، فقد تفرد بالرواية عنه جابر بن صبح، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وقد جهله ابن المديني والذهبي، وباقي رجال الإسناد ثقات، بعضهم رجال الصحيح"، والحاكم في المستدرک، برقم (٧٠٨٩)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، برقم (٦١١٣).

٣- أخرجه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، برقم (٣٧٦٧)، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح، برقم (٤٢٠٢)، وفي صحيح الجامع، برقم (١٣٢٣).

لأنه يجد حرارة في جوفه مع القراءة، فيطلب ماء بكثرة ويشرب بنهم، لكن لو أنه جيء له بماء قرئ فيه فقط بسم الله الرحمن الرحيم دون أن يشعر -في مكان آخر-، ثم تأتي لا يمكن أن يشرب، وإذا أردت أن تسقيه بشيء من الإلزام والإكراه فإن الماء يخرج من أنفه ربما، وإذا صبيته صباً في جوفه فإنه لا يتمالك حتى يخرج كل ما صب فيه، هذا شيء مشاهد، فهو لا يستسيغ أبداً مع أنه لم ير ذلك، وقد جرب هذا، وهو شيء مشاهد، يعني بمجرد ما يأتي إنسان من مكان آخر من غرفة أخرى ما شاهده، هذا مصروع هنا بمجرد ما يقول: بسم الله، ويأتي به يعطيه الكأس الآخر الذي ما قيل فيه هذا يشربه شربة واحدة، ويطلب الزيادة، فهذا حال الشيطان، نسأل الله أن يعيدنا وإياكم منه.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.